الا اننا نلاحظ ايضا فيما يتعلق بصيغة المخاطب من قبل المتكلم في توجهه الى ذاته في السرد ، ان مروان وابا قيس هما الوحيدان اللذان يستعيدان اقوال الاخرين في حرفيتها ويتوجهان بها الى ذاتيهما (*) · بينما يتميز ابو الخيزران واسعد بكونهما الوحيدين اللذين يتمتعان باستعمال لصيغة المتكلم صافية من اي التباس في المخاطبة او استعادتها ، فتاتي تعبيرا ذاتيا محضا من ناحية ، ومن ناحية ثانية بانهما الوحيدان اللذان ترد امام تعبير لكل منهما بصيغة المفرد كلمة « فكر » (**) ·

واذا كانت خصوصية مروان وابي قيس المشار اليها تمثل خصوصية العجز والقصور كما يتميز بهاكل منهما (***)، فان تميز ابيالخيزران واسعد تمثل تمايز القيادة العملية عن النظرية · ففي كلا الاستعمالين المشار اليهما هنا لصيغة المتكلم من قبل كل منهما ، نلاحظ عددا من الضمائر المفردة للمتكلم · فكأن كلا منهما يتمثل في هذه الصيغة الموقع القيادي الممثل للفلسطينيين المهربين · ولكننا نلاحظ ان ضمير المتكلم المفرد يـــرد مرة واحدة بدون اي تقديم (٥٩) ، ويرد ثلاث مرات اثر كلمة « فكر » (٦١) ، بينما نجد التركيبة العكسية لدى ابي الخيزران حيث يرد ضمير المتكلم المفرد ثلاث مرات دون اي تقديم (١٣١) ، ومرة واحدة بعد كلمة « فكر » (١٤٨) · فتكون كثرة الضمائر بعد فعل التفكير لدى الاول ، تعبيرا عن غلبة دوره النظري في القيادة ، بينما تكون كثرة الضمائر دون ذكر لفعل التفكير لدى الثاني ، تعبيرا عن غلبة دوره العملي في القيادة ···

ويمكننا القول ان اسعد هو نظريا قائد ــ ممثل ــ للمسافرين الثلاثة ــ وهو احدهم ــ ، بينما عمليا لا يقود ولا يمثل الا نفسه · بينما نظريا لا يقود ولا يمثل ابو الخيزران احدا سواه ، بينما عمليا يقود الفلسطينيين الثلاثة ويمثلهم ·

وهذا بالتحديد ما يعلنه النص الروائي · فاسعد الذي يتولى التفاوض باسمه وباسم الاخرين (ابي قيس ومروان) (ص ٩٠) فيلعب دور الممثل والقائد نظريا بالنسبة لهم ، يعلن ردا على سؤال ابي الخيزران « ماذا قررتم ؟ » · « انا شخصيا لا اهتم الا بموضوع وصولي الى الكويت ، اما ما عدا ذلك فانه لا يعنيني ·· ولذلك فانني سأسافر مع ابي الخيزران » ·· (١٠١) متخليا عمليا عن ذاك الدور ،معلنا موقفا شخصيا منفردا دون الرجوع الى من انتزع تفويضهم له ، وتحت هذا الاعتبار كان قد حد من تدخلهم في النقاش ومن تقريرهم موقفا مستقلا (ص ٩٣ حيث يردع ابا قيس عن الموافقة على سعر التهريب ــ ١٠ دنانير ــ بحجة « لقد سلمتني الامر اذن دعني احكي ··· »)

(*) ص ١٣٠ حيث يستعيد ابو قيس الحوار الذي تم بينه وبين صديقه اسعـد ··· وحيث يستعيد مروان اقوال ابي الخيزران واخيه زكريا له ···

(**) راجع بالنسبة لاسعد ص ٥٩ و ٦١ ·· وبالنسبة لابي الخيزران ص ١٣١ و ١٤٨·

(***) نلاحظ ان مروانيكتفي بالاستعادة، بينما يتخطاها ابو قيس الى التعبير المباشر الذي لا يستعمل اقوال الاخرين من ناحية ، والذي لا يكتفي بالحاضر من ناحية ثانية ··· (راجع عدا ص ١٣٠ ــ الصفحات ٣٧ و ٣٨ ــ ٤٦ و ٤٧) ·